

الانزياح

معيّاراً نقدياً

د/نبيل علي حسنين (*)

(ج/ البترا الأردن)



ملخص

يهدفُ البحثُ إلى استجلاء مصطلح (الانزياح) واستظهاره: تعريفاً وتشريحاً من وجهة النظر الأسلوبية؛ ذلك أنّ بعض المتخصصين لا يولون هذا المصطلح الأهمية التي يجب أن ينالها. وأن قدرته على معالجة خفايا النصوص وأسرارها وطلاسمها كبيرة. هذا وقد ركّزْتُ على الانزياح دون غيره من المقاييس الأسلوبية لسببين:

أولهما: أنّ التحليل الأسلوبيّ تحليلٌ طويلٌ معقّدٌ تستلزمه إجراءات كثيرة، وخطوات طويلة مرهقةٌ تلتقي جميعها عند الانزياح؛ ذلك أنّه من السمات الرئيسية في الشعر العربيّ.

ثانيهما: أنّ الانزياح هو الملمح الأكثرُ بروزاً الذي يستطيع الناقد القليل الخبرة أن يستخرج به ملمحاً فكرياً أو تصويرياً، أو يستطيع به أن يسمّ شعر شاعر، أو أن يشرع في جرأة شرح شعره وفكّ غوامضه.

(*) أستاذ مساعد - قسم اللغة العربية - جامعة البترا، الأردن.

Deviation
Definition and Problems
Dr. Nabil Ali Hassanain

This paper aims to clarify the term (Deviation) from the standpoint of stylistic, that some specialists do not attach the importance that this term must be received. And it's ability to deal with the obscurities of the texts is very great. The paper focused on the Deviation for two stylistic reasons:

First: the stylistic analysis is complex analysis of long procedures required many step. Second: the Deviation is the most prominent feature, that a little experience critic can use it to extract a graphic or intellectual sign, or it can be called poetry a poet ,or to initiate for explaining his poet.

تقديم

يظهر كثيراً في اختيارات الكتاب وانزياحاتهم اجترأ واضح على اللغة، ويولي الدارسون الأسلوبيون خاصة والقراء عامة هذه الاختيارات والانزياحات المتطرفة عناية خاصة. ومع أهمية المصطلحين إلا أن مصطلح الانزياح تحديداً أكثرهما أهمية وتداولاً في الدراسات النقدية والأدبية الحديثة، ورغم أنهما قد يختلطان في ذهن بعض القراء والدارسين، فإن الأمر ليس كذلك؛ فالاختيار مقياس متعلق بالكاتب لا القارئ، والانزياح مقياس متعلق بالقارئ؛ ولذلك فقد سمي الأسلوبيون هذه الاختيارات إن جاءت من قبل القارئ انزياحات (*)؛ ولذلك أيضاً يولي الدارسون الأسلوبيون هذه الانزياحات أهمية ما، لا يولونها الاختيارات. ولذا فقد أعطى الأسلوبيون هذا الاسم في الدراسات

(*) في الأصل انحرافات، ولكن استخدام مصطلح الانزياح هو ما سنسير عليه في السطور القادمة، وسيوضح السبب عمّا قريب.

الأسلوبية كلّ ما يُمكن من آيات الاحترام التي لا يحظى بها في أمور الحياة العادية، حتى قال بعضهم معرفاً الأسلوبية أنّها علم الانزياحات⁽¹⁾. هذا ويعدّ الانزياح على الرغم من أهميته ناتج من نواتج الاختيار، إذ لولاه لما كان هناك انزياح، أي إنّ الاختيار هو المُسبب والانزياح هو النتيجة الحاصلة. ولأنّ الاختيار كما ذكرنا هو من إنتاج صاحب العمل فهو أوّل قبل أن يدرك هو نفسه أنّه انزياح ومن بعده القارئ.

على أيّة حال أصبح الانزياح مصطلحاً مهماً جداً في الدّراسات النّقديّة الحديثة والأسلوبية على وجه الخصوص، وسأولي في السطور التالية هذا المصطلح أهمية خاصّة محاولاً التوصل إلى متعلّقاته ومشكلاته، معرفاً إياه لغة واصطلاحاً، كاشفاً عن فكره الذي يقف به في الدراسات النّقديّة الحديثة.

الانزياح لغة واصطلاحاً

الانزياح لغة:

جاء في لسان العرب: زَاحَ وزَاخَ بالحاءِ والحاءِ بِمعنى واحدٍ إذا تَنَحَّى؛ وزَاحَ الشيءُ يَزِيحُ زِيحاً زُيُوحاً زِيحَاناً وانزَاحَ، وَيَزُوحُ زَوْحاً ذَهَبَ وَتَبَاعَدَ وَزَالَ. ومنه زاحتْ علته وأزحمتُها أنا، أو أَرَحْتُ عِلَّتَهُ فَرَاخَتْ وهي تَزِيحُ. وزَاحَ

(1) انظر، عياد، شكري، مدخل إلى علم الأسلوب، 1982 م، ص 36.

وانظر، عيد، رجاء، البحث الأسلوبي - معاصرة وتراث، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1993 م، ص 184، وشيلنر، برند، علم اللغة والدراسات الأدبية - دراسة لأسلوب البلاغة وعلم اللغة النمطي، ترجمة محمود جاد الرّب، الدار الفنية للنشر، 1987 م، ص 61.



الشيء زَوْحاً وَأَزَاحَهُ وَأَزَحْتُهُ وَأَزَاحَهُ غَيْرُهُ أَزَاغَهُ عَنْ مَوْضِعِهِ وَنَحَّاهُ. وَالزَّوْاحُ
الذَّهَابُ؛ وَأَزَاحَ الْأَمْرَ قَضَاهُ⁽¹⁾.

ومن هذا أستطيع الخلوصل إلى:

أولاً: مصطلح الانزياح مشتق حديثاً لير تعرفه العرب على هذه الصورة
الصرفية.

ثانياً: المعنى الأساس الذي يحمله الانزياح هو الابتعاد.

ثالثاً: بقيت الكلمة في المعاجم الحديثة على ما هي في القديمة، ويدل على
ذلك ما ورد في أشهرها إذ إنني لمر أجده فيه آية زيادة⁽²⁾.

رابعاً: الانزياح مشتق صرفي من الوزن " انفعال " الذي لا يكون إلا لازماً
ويفيد المطاوعة؛ وفائدة المطاوعة أن أثر الفعل يظهر على مفعوله فكأنه
استجاب له؛ ولذلك سميت هذه النون نون المطاوعة⁽³⁾. وبعد ذلك بُني على
صيغة المصدر " انفعال "، فأصبحت الكلمة انزياح، والمصدر - كما نعلم - اسم
يدل على حدث غير مقترن بزمن⁽⁴⁾.

خامساً: كلمة انزياح تفيد لغوياً الابتعاد حدثاً مطاوعاً.

(1) انظر، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين (ت 711 هـ)، لسان العرب، دار صادر،
بيروت، مادة " زاح ".

(2) انظر، مذكور، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، ط2، (د. ت.)، مادة " زاح ".

(3) انظر، الراجحي، عبده، التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، بيروت 1984 م، ص 36-37.

(4) انظر، المرجع السابق، ص 66.

الانزياح اصطلاحاً:

أنتقل الآن من مُعَايِنَةِ الدَّلَالَةِ اللُّغَوِيَّةِ لكَلِمَةِ الانزياح لأَدْخَلَ في تعريفها من خلال وجودها في سياقات دلالية فنية مُحَدَّدة في النقد أو علم اللغة، لنرى أنَّ الدَّلالة اللُّغَوِيَّةَ كما تجلَّتْ أعلاه، لن تنفكَّ عن دلالتها الاصطلاحية في تلك الحقول: ممَّا يقوِّدُ إلى رُؤْيَةٍ نوعٍ من التواشج الوثيق بين الدَّلالة اللُّغَوِيَّةِ للكَلِمَةِ، والدَّلالة الاصطلاحية التي تنحو في إطار سياقاتها إلى مزيد من الخصوصية والتحديد والتَّحديد.

يُعرِّفُ الانزياحُ اصطلاحاً بأنَّه ابتعادُ نظامِ الخطابِ (*) عن النَّسقِ الأَصْلِ، أي خروج أصواتِ الخطاب/الكلام أو تراكيبه أو دلالاته أو تعابيرهِ أو رؤاه أو تشكيلاتِهِ أو صياغاتِهِ... أو بعضِ ذلك أو كلِّه معاً عن القاعدةِ الأَصْلِ في عُرْفِ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ (**). "سواء في النص ذاته أم في نص معيار يقاس إليه النص

(*) يُعرِّفُ الخطابُ الأدبيُّ بأنَّه خلقُ لغةٍ من لغةٍ، أي أنَّ صانعَ الأدبِ ينطلقُ من لغةٍ موجودةٍ فيبعثُ فيها لغةً وليدةً وهي لغةُ الخطابِ الأدبيِّ. ويُمكنُ أنْ نقولَ إنَّ الخطابَ الأدبيَّ هو تحويلُ لغةٍ موجودةٍ سلفاً، وتخليصها من القيود التي يُكبِّلها بها الاستعمال والممارسة. فالخطابُ الأدبيُّ بهذا المعنى: كيانٌ عضويُّ يُحدِّده انسجامٌ نوعيٌّ، وعلاقةٌ تناسب قائمة بين أجزائه.

انظر، السد نور الدين: الأسلوبية في النقد العربي الحديث، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، الجزائر، 1994م، ص 199. والمسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب - نحو بديل ألسني في نقد الأدب -، الدار العربية للكتاب، تونس، 1977م، ص 107-125. والمسدي عبد السلام: الأسلوبية والنقد الأدبي - منتخبات من تعريف الأسلوب وعلم الأسلوب، الثقافة الأجنبية، العدد 1، 1982م، ص 42.

(**) لاحظتُ أثناء النظر في تعريف الانزياح أنَّ معظمَ النُّقاد لا يستخدمون عبارة (النسق الأَصْل) / القاعدة الأَصْل بل يستخدمون مكانها الاستعمال المألوف أو النمط المتواضع عليه، أو النمط العقلائي الخاص، أو نسقه المألوف، أو النمط المعياري، أو الطريقة العادية أو المتوقعة، أو الأعراف اللُّغَوِيَّة أو الانسجام أو السَّنن اللُّغَوِيَّة الشائعة.

انظر في ذلك: عبد الله إبراهيم: الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، 1994م، ص 91، وص 102 والسد نور الدين: الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص 149 وص

=



المدرس " ⁽¹⁾، فقد أوجدت اللغة " العديد من الاقتارات بين العناصر اللغوية يُمثّل الخروج عنها كسراً للمألوف " ⁽²⁾. يُمكنُ الخطّاب من " أدبيّته ويحقق للمتلقّي متعة وفائدة " ⁽³⁾. ويمثّل الانزياح لذلك حالة من حالات الكسر اللغوي العرضي، أو الطولي، أو كليهما معاً.

وكما قلنا فإنّ المعنى الاصطلاحيّ لهذا المصطلح يرتبط بعلاقة وثيقة بالمعنى اللغوي، فالانزياح في اللغة الابتعاد، واصطلاحاً الابتعاد عن القاعدة اللغوية الأصل حدّثاً مطاوعاً للفاعل / الكاتب.

هذا وقد تجاذبت مفهوم الانزياح وتعلّقت بدائرته مصطلحات وأوصاف كثيرة ⁽⁴⁾. ولئن " كان لهذه الكثرة من دلالة فإنّما هي تشير إلى مدى أهميّة ما

=155. وعبد المطلب محمد: البلاغة والأسلوبية، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، 1994 م، ص 205. ومحمد خير الدين: مقامات بديع الزمان الهمذاني - دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، 1996 م، ص 68. ومصلوح سعد: الأسلوب - دراسة لغوية إحصائية، ط1، دار البحوث العلمية، ص 27. الياقي نعيم: الانزياح والدلالة، الفيصل، عدد 226، 1995 م، ص 28. المسدي عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، ص 97-106.

(1) عبد الله، إبراهيم: الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي المعاصر، ص 91.

(2) محمد خير الدين: مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص 68.

(3) السد، نور الدين، الأسلوب في النقد العربي الحديث، ص 155.

(4) انظر، ويس، أحمد محمد، الانزياح بين النظريات الأسلوبية والنقد العربيّ القديم، رسالة ماجستير، جامعة حلب، حلب، 1995 م، ص 22.

ولمزيد عن هذه المصطلحات انظر: ويس، أحمد محمد، الانزياح، ص 21-57، شبلنر، برند، علم اللغة والدراسات الأدبية - دراسة لأسلوب البلاغة وعلم اللغة النمطي، ترجمة محمود جاد الرّب، الدار الفنية للنشر، 1987 م، ص 68 و 79، المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص 96-97 و 160. عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية. السد، نور الدين، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص 268-288. ابن ذريل، عدنان، النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق - دراسة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1980 م، ص 149-162، و ص 25. محمد، خير الدين، مقامات بديع الزمان الهمذاني. عبد اللطيف، محمد حماسة،

=

تحمّله من مفهوم، وإلى تأصيله في الدراسات الغربيّة قبل العربيّة " ⁽¹⁾، أو لأنّ الانزياح مصطلح " عسير الترجمة غير مستقر في متصوره، لذلك لم يرض به كثير من رواد الألسنيّة والأسلوبيّة فوضعوا مصطلحات بديلة عنه " ⁽²⁾.

ويرى " جورج مونان " أنّ هذه المصطلحات المختلفة المتنوعة حول المفهوم أمر هامشي؛ لأنّها دائماً تحدّد نفس الشيء سواء ذكرنا الانحراف أم العدول أم الانزياح. فهذه المصطلحات تحاول في أشكائها الأشد إحكاماً أن تضبط كشفاً إشارياً للغة كاتب من الكتاب، وذلك فحسب على أساس انزياح التواترات المنخفضة بصورة غير عادية، أو المرتفعة بصورة غير عادية ⁽³⁾. وليس الأمر كما أثبت، إذ إنّ الخلاف بين هذه المصطلحات كبير جداً خاصّة في الدلالة على مضمون المصطلح والإشارة إلى الثقافة الحاضرة التي خرج منها.

ومن بين هذه المصطلحات الكثيرة اخترتُ وفضلتُ مُصطلحَ الانزياح واصطفيته من غيره، وكان ذلك لعدد من الأسباب أهمّها أنّ جُلّ التيارات التي تعتمد الخطاب أساساً تعريفاً للأسلوب تكاد " تنصب في مقياس تنظيريّ هو بمثابة العامل المشترك الموحد بينها، ويتمثل في مفهوم الانزياح " ⁽⁴⁾. أضف إلى ذلك أن بعض هذه المصطلحات قد يسيء إلى لغة النقد ⁽⁵⁾؛ وعليه " فليس غريباً أن يستبعد الباحث: الإخلال، والاختلال، والشناعة، والخلل، والخطأ،

=منهج في التحليل النصي - تنظير وتطبيق، فصول، مجلد 15، عدد 2، 1996 م، ص 68-71 وص 111. اليافي، نعيم، الانزياح والدلالة، ص 28.

(1) المرجع السابق، ص 23.

(2) المسدي عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، ص 158.

(3) السد نور الدين: الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص 153.

(4) المسدي عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، ص 93 .

(5) المسدي عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، ص 23-24.

والانحناء، والعصيان، والفضيحة، والجنون، والإطاحة، وربما غيرها أيضاً. يستبعداها على الرغم من أن لها أصولاً أجنبية؛ لأنها في رأينا أبعد ما تكون عن اللياقة التي ينبغي للأدوات النقدية أن تتسم بها. ثم إننا لسنا في موضع اضطراب كي نقبلها، فثمة كثير مما يغني عنها. وقد أشار إلى مثل ما نحن فيه ناقد غربي، ذكر بعض هذه المصطلحات التي يمكن أن تؤخذ على أنها انحراف مبالغ فيها مثل: المخافة، والتنافر، والشذوذ عن القاعدة. والحق أن هذه الكلمات فضلاً عن افتقارها إلى اللياقة، ليس لها في المترجمات العربية أو في كتابات الباحثين العرب حظ من الصيرورة والذيق كبير، ولا ينبغي " ⁽¹⁾. أما الانزياح فهو " بخلاف سواه يحمل دلالة توصيفية لا تمت إلى القيمة الأخلاقية منها بصلة " ⁽²⁾. ولنعلل موضحين سبب استثناء بعض الكلمات؛ فكلمة الفضيحة مثلاً، لأن " هذا الاستعمال إن هو إلا وقوع في المحذور الذي لا مسوغ للوقوع فيه، إذ الفضيحة لغة وعرفاً تعني: كشف المساوي، وهو معنى لا يفارق الأذهان أبداً، فكيف لها أن تستعمل لأمر فني وجمالي " ⁽³⁾. أما كلمة الانحراف فتفادياً للإيحاء الأخلاقي المقصود والمستثمر فيها ⁽⁴⁾. أما التشويه، أو الخطأ، أو الشناعة، أو العصيان فهي تحمل دلالة توصيفية تمت إلى القيمة الأخلاقية بصلة، وتشير إليه، ومن ثم فهي لا تسعفنا في الدراسة، ولا تلبي مطلبنا في الدراسة، ولا في حيادية المصطلح واستقراره ⁽⁵⁾.

(1) السد نور الدين: الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص 23-24.

(2) اليافي نعيم: الانزياح والدلالة، ص 28.

(3) السد نور الدين: الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص 21.

(4) انظر، فضل صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، ط 1، مكتبة لبنان، بيروت، الشركة المصرية التالية للنشر، القاهرة، 1996 م، ص 79.

(5) انظر اليافي نعيم: الانزياح والدلالة، ص 28.

واستثنت من هذه المصطلحات أيضاً معادلاً قديماً لمصطلح الانزياح هو العدول^(*)، وقد نحته جانباً لأنه قد ارتبط بالعلوم القديمة، واكتسب معها دلالة، ويفضل أن يبقى معها، وأن لا ينفذ الغبار عنه، ويطوي تحت اسم جديد مع العلوم الجديدة.

نشأة الانزياح

لن أجعل وكدي في هذا المبحث أن أستقريء الأصول الفلسفية أو المنطقية أو الجذور التاريخية للانزياح عند العرب، ومرادفات هذا المصطلح عندهم نشأة وتطوراً، بل أن أدرسها كما هي مستعملة وظاهرة في كتب النقاد العرب المحدثين والغربيين المنظرين. فاستقراء الأصول المنطقية وتحري الأصول التاريخية الدقيقة إنما يدخل في مجال الميتافيزيقا، وهو حقل للأخذ والرد والاختلاف والنقاش الذي ليس له فائدة علمية تذكر، ف"إذا كان الناس يختلفون بعض الاختلاف في استعماله أو تعريفه أو إجراءاته، فإنما ذلك في الحقيقة ليس إلا ظاهراً وإلا حذقة، وإلا محاولة لفلسفة ما ليس مفتقراً إلى

(*) انظر، فضل صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 79. وعبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، ص 268-288. وويس أحمد محمد: الانزياح. والوعر، مازن، الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها في الدراسات الأسلوبية، عالم الفكر، مجلد 22، عدد 3-4، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1995 م، ص 149.

غير أن تمام حسن يقول في هذا السياق: "ولكنّ النحاة والبلاغيين جميعاً كانوا أكثر حفاوة بالأسلوب العدوليّ كما أسميه، وهو كما يبدو من اسمه عدول عن الأصل أو انحراف عن الأصل إن شئت. غير أن العدول ظاهرة لا واقعة، وهذا هو الفرق بينه وبين الانحراف كما يفهم في حدود علم الأسلوب". انظر، حسان، تمام، المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة، فصول 7م، عدد 3-4، 1987 م، ص 28. ومعنى هذا أن العدول هو الجانب غير الماديّ بل النظريّ من الانزياح وأنّ الانحراف - في نظره - هو الجانب التطبيقيّ أو العمليّ.

فلسفة، وتعقيد ما لا يحتاج إلى تعقيد، وإدراجه في حقل السيميائية⁽¹⁾. على أنني كلما سنحت لي الفرصة سأقوم بالإشارة إلى الأصول المنطقية والتاريخية لفكرة الانزياح توضيحاً وتفسيراً.

تأخر الانزياح على العموم حتى ظهر مصطلحاً نقدياً ولغوياً مكتملاً ناضجاً سواء أكان ذلك عندنا نحن العرب أم عند الغربيين، غير أن الفترة بين ظهوره ونضوجه عندنا نحن العرب لم تبعد كثيراً عن فترة ظهورها ونضوجها في الغرب؛ وذلك لعدة أسباب أهمها انتشار الترجمات.

ويستشف من ذلك أن الدراسات العربية القديمة والغربية على حد سواء لم تعرف الانزياح اسماً مشتقاً، وهي معدومة في معاجمنا ومعاجمهم، وكتبنا القديمة وكتبهم، وبمنظرة فاحصة لمعاجمنا ومعاجمهم يمكننا التأكد من ذلك. وهذا لا يعني إطلاقاً عدم معرفة العرب للانزياح منهجاً في البحث الأدبي على العموم أو الشعري النقدي على وجه الخصوص، ولعلي لا أجنب الصواب إذا قلت بأننا نجد في الموروث العربي النقدي، والبلاغي، وفي بعض الدراسات القرآنية، وفي الخطاب الشعري بعامة، ملامح الدرس الانزياحي.

ويؤكد هذا المعنى عدد من الباحثين؛ لهذا لم يهمل الباحثون المحدثون تتبع تلك الإشارات الانزياحية عند القدماء، وذكرها⁽²⁾، وإفراد الكتب الخاصة أحياناً لها⁽³⁾. وبناءً على ذلك يمكننا القول إن الناظر في الانزياح إجمالاً منذ

(1) مرتاض عبد الملك، الكتابة : من موقع العدم - مساءلات حول نظرية الكتابة -، كتاب الرياض مؤسسة الإمامة الصحفية، الرياض، العدد 61 - 61 يناير - فبراير، 1999م، ص 400.

(2) انظر، عيد رجاء : البحث الأسلوبي - معاصرة وتراث، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1993 م، ص 197 - 266.

(3) انظر مثلاً، درويش أحمد: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، مكتبة الزهراء، القاهرة، (د. ت).

نشأته إلى آخر مطاف تطوره في العصر الحديث يلاحظ أنه من حيث هو معرفة إنسانية قديم في تصوراته المبدئية، حديث في بلورة غاياته وتشكيل مناهجه. وانطلاقاً من ذلك فقد آمن معظم الباحثين بأن الانزياح ما هو إلا تطوير - على الأقل عندنا نحن العرب - لتلك الملاحظات التي صدرت عندنا على شكل إشارات للمجاز والخروج عن الأصل والضرورات الشعرية وغيرها، وجزء من المباحث البلاغية؛ لذلك يمكن أن يقال بأن الانزياح هو علم قديم؛ ولذلك أيضاً اعتقد أن التيار المعتمد على الانزياح سيكون له فاعلية في الكشف عن خصوصية الخطاب الأدبي؛ لأنه يتوافق إلى حد كبير مع بعض التوجهات في الموروث النقدي، وبخاصة عند من كتب في المجاز والخروج عن الأصل اللغوي من ناحية، وينفتح على الوافد الغربي من ناحية أخرى.

وعلى العموم فإن أساس الانزياح عندنا نشأ نشأة عربية صرفة؛ وذلك لأن أساس كل نقد - الانزياح جزء من نظرية النقد الحديثة - هو الذوق الشخصي تدعمه ملكة تحصل في النفس بطول ممارسة الآثار الأدبية⁽¹⁾. غير أن الملاحظات والإشارات التي توصل لها العرب في هذا المجال قد أهملت بعد القرن السادس الهجري. وهذا لا ينفي عدم تأثرنا بالعقلية الجديدة التي كوَّنتها الفلسفة الغربية الحديثة وغيرها من الفلسفات النقدية والأدبية القديمة والحديثة التي تبلورت على يدي عدد كبير من العلماء المحدثين ليبدأ فصل جديد لتطوير هذا العلم.

على العموم إن معظم هذه الملامح الوضيئة الكثيرة التي تتصل بسبب، أو أسباب بالانزياح في تراثنا العربي تأتي منبثة في تضاعيف موضوعات تتصل وتنفصل، وتتقارب وتتباعد، أو من خلال معالجات بلاغية تتضوؤ وتخفت، وتبين

(1) انظر، مندور محمد: النقد المنهجي عند العرب، ومنهج البحث في الأدب واللغة مترجم عن الاستاذين لانسون وماييه، محمد مندور، دار تحفة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د. ت)، ص 11.

وتختفي، وهي في ذلك كله - بعد جمع شتاتها - تكون - من جانب آخر - في كثير من صورها، وعديد من تحليلاتها لصيقةً بـتنظيرات، وتحليلات معاصرة إلا أنه يجب " مراعاة المفارق الزمنية، والتراكمات الثقافية، وما استجد من قضايا تجاوزت - بالضرورة - ما سبقها. ومن هنا فإننا لا نعي أن إرثنا الثقافي قد تكفل بكل شيء، أو أن ما قاله الأقدمون يغطي خارطة الحاضر، ويدثر بعباءته تخوم المستقبل. وإنما نعي التذكير بوضاءة تلك التحليلات التراثية سواء ما اندرج منها تحت المباحث البلاغية - وهي الأوضح - أم ما اندرج في دراسة النص القرآني - وهي كثيرة متعددة -، أم في شرح الشعر " (1).

ورغم ذلك لا نذهب إلى الادعاء بأن هذه الإنجازات تدخل في مجال الدراسات المتخصصة المرتبطة بالانزياح، ولكننا نقول بأنها إرهاصات في هذا الميدان، وأنها تتوافر على ملمح من ملامح دراسة الانزياح في الظاهرة اللغوية في الخطاب الشعري العربي، وما يميزها من بعضها. وليس هذا فقط، وإنما محاولة تحديد الخصائص الفارقة بين الشعراء أنفسهم في أساليب الكلام، وطرائق الأداء الشعري في التعبير عن موضوعاتهم، وما تتضمن من رؤى، ودلالات تؤكد أن آراء القدماء وإن كانت مبتسرة، ولم تؤسس نظرية متكاملة في الانزياح - كما نراها اليوم -، فهي إرهاصات في هذا المجال استثمرت بعض المباحث في اللغة، والبلاغة، والنقد، والدراسات القرآنية، ولكنها لم تطورها لأن تصبح علماً للانزياح. غير أن القول باكتفاء النقاد القدماء بالتلميح، والإيجاز في طرق هذه الموضوعات، لا يقلل من شأن النقد القديم أو دراساته، ولا يستهين بالآراء النقدية القديمة على إيجازها.

(1) المرجع السابق، ص 197.

وكذلك فإنّ المقاييس والمفاهيم التي رافقت نشأة الانزياح حديثاً هي مصطلحات لا يمكن للعلم القديم أن يستوعبها ولهذا فإنّ " مثل هذه المقاييس والمفاهيم العلميّة الحديثة تعبّر عن رفض للعلوم المعيارية كالبلاغة وفقه اللغة، وتاريخ الأدب، انطلاقاً من اللسانيات التي تقف عند حدود الجملة إلى فضاء النصّ الذي يطلّ برأسه في أي أثر كتابي، ويحتاج تلمّسه إلى لطف الصنعة، ورهافة الذوق. ولا يقتصر مفهوم النصّ على الأشياء المكتوبة بل يتجاوزها إلى الفنون التعبيرية كالرسم والموسيقى"⁽¹⁾.

وعليه فإنّ الخلافات التي يديرها البعض حول تجذّر بحوث الانزياح في العربيّة هي خلافات مفتعلة لا تقوم على دعائم موضوعيّة؛ لأنّ الدّرس الانزياحيّ في العربيّة ليس جديداً، وهو نشاط مارسه جميع المعارف التي اتخذت من الخطاب ميداناً لها. وتجلّت ملامحه في الدّراسات القرآنيّة، والدّراسات البلاغيّة، والنقدية، والشروح الشعرية، غير أنّ هذه التجربة كما قلنا لم تتمكّن من تأسيس الانزياح علماً مستقلاً.

بقي الأمر هكذا عندنا نحن العرب حتى منتصف القرن العشرين تقريباً في دراسات تكاد تكون معدومة. ومع أنّ هذه الدّراسات كانت قائمة في جوهرها على ما أصّله القدماء من دراسات بلاغيّة، مع الإفادة في الوقت نفسه من التيارات الخصبية التي وفدت من الغرب مع مطلع نهضتها الحديثة، إلّا أنّها جاءت كالدراست القديمة التي لم تتجاوز كثيراً، ولم تهين لظهور نظرية متكاملة في الانزياح. ولهذا فإنّ الجهود العربيّة في الانزياح كانت حتى منتصف القرن العشرين أوليّة، والأشواط التي قطعها علماؤنا، ولغويونا في ذلك

(1) البقاعيّ شفيق: مفهوم النصّ في اللسانيات الحديثة، مجلة الفكر العربيّ المعاصر، ع 85، 1996م، ص 155.

لا زالت بدائية، وعاجزة عن أن تلبي حاجات العلم، والحياة الحديثين، في عدد من المجالات أهمها نقد النصوص الأدبية وميز الأساليب من بعضها وبيان مدى اتصالها بأصحابها، ويدل على ذلك الإصدارات العربية القليلة مقارنة بما يصدر في الغرب.

وخلاصة الحديث أننا لم نجد في كل البحوث العربية حتى منتصف القرن العشرين أزمة حقيقية تمهد لتكوين دراسات انزياحية عربية قائمة الذات، أو نظريات قوية الأسس.. فالعرب لم يستكملوا البحث في الانزياح حقيقته حتى يفكروا في وضع أركان نظرية عربية للانزياح. وإذا كان حظ التنظير في هذه القضية ضئيلاً عندهم، فإن حظ التطبيق معدوم، إذ لا نكاد نجد اليوم بحثاً قائمة الذات في خصائص الأساليب بناءً على أعمال مقياس الانزياح في آثار العرب، على أي وجه من وجوه العمل الجاري بها عند الانزياحيين الغربيين اليوم، فـ " التطبيق في هذا المجال أحسن عوامل تنشيط التفكير، وتعبيد سبيل التنظير " ⁽¹⁾. وعلى الجملة فإن ذلك كله لم يقدم نظرية مكتملة، يمكن اعتبارها بحثاً انزياحياً عربياً في المجال النظري، أو التطبيقي.

ولهذا تكون النتيجة وجوب التزام جانب الحذر عند تتبع إشارات الانزياح في تراثنا النقدي، وعدم الاهتمام بأن نبحت في البلاغة العربية أو غيرها من كتب التراث عن سوابق لأفكار معينة حتى ولو كانت أفكاراً عامة؛ لأن المنطق الداخلي للبلاغة العربية قد يستعصي على هذه التسميات، وإن كان من الممكن في نظرة أولية للموضوع أن تلاحظ بعض نقاط الالتقاء والافتراق بين المصطلح البلاغي والمصطلح الانزياحي، مما يؤنس بوجود شيء من التشابه، أو الاختلاف بين العلمين.

(1) البقاعي، شفيق، مفهوم النص في اللسانيات الحديثة، ص 298.

ورغم تطوّر مناهج متابعة الانزياحات النصيّة عند العرب حتّى منتصف القرن العشرين، فإنهم لم يُعطوها اسماً خاصاً محدداً واضحاً. لكن لما بدأ مفهوم الانزياح بعد ذلك في الغرب يتحدّد ويتسع في الوقت الذي بدأت فيه الدّراسات تأخذ شكلاً منظماً، أعطى بعضهم هذه الدراسات اسم الانزياح، وأدخلوها حقل الأسلوبيّات. فقد " لوحظ أنّ كثيراً من التّصورات المقدّمة عن النّظريّة الأسلوبية المتعلّقة بالنص ذاته تتفق في كثير من الأحيان على قدر مشترك يتم الالتقاء عليه، وهو تصوّر الأسلوب كانزياح " ⁽¹⁾.

أما نشأة الانزياح وتجديد النظر إليه بشكل يتوافق والتطور الحديث، ففي مقاربتنا لصنيع "بلومفيلد" اللغوي السلوكي من الدّرس الأسلوبيّ، نجد أنه قد حاول " أن يجعل من علم اللغة علماً تجريبياً سلوكياً مما دفعه للنظر إلى علم اللغة في أنه سلسلة متوالية من المنبهات والاستجابات، ولقد كان لهذا تأثيره في الدرس الأسلوبي من حيث التركيز على المنبه من ناحية، والاستجابة من ناحية أخرى، والنتيجة الطّبيعية التي ترتبت على ذلك هي النّظر إلى الأسلوب الأدبي باعتباره انزياحاً ^(*) على الأسلوب المعياريّ من حيث إنه منبه متميز يحدث استجابة متميزة " ⁽²⁾. وفي عالمنا العربيّ اعتقد أنّ عبد السلام المسدي الذي كان أوّل من كتب في الأسلوبيات هو أوّل من أشار إلى أهميّة الانزياح ⁽³⁾.

(1) فضل، صلاح، علم الأسلوب — مبادئه وإجراءاته، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985 م، ص 155.

وانظر، شبلنر، برند، علم اللغة والدراسات الأدبية، ص 79.

(*) في الأصل انحرافاً.

(2) عبد الله، إبراهيم، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص 103.

(3) انظر، المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب.

تحليل الانزياحات

يُعرفُ التحليلُ عموماً بأنّه " عمليةُ فكّ البناءِ لغوياً وتركيبياً من أجلِ إعادةِ بنائه دلائياً " ⁽¹⁾، ويُعرفُ الانزياحُ كما قلنا بأنّه ابتعادُ نظامِ الخطابِ عن النّسقِ الأصلِ. وبناءً عليه يُعرفُ التّحليلُ الانزياحيّ بأنّه: عمليةُ فكّ الخطابِ الأدبيّ لغوياً وتركيبياً من أجلِ إعادةِ بنائه دلائياً لدراسةِ ابتعادِ نظامِ الخطابِ عن النّسقِ الأصلِ.

وتقوم عمليةُ تحليلِ الانزياحِ على أساسِ عددٍ من الخطوات المتتابعاتِ المتكاملاتِ انطلاقةً من أنّ " للأثر الأدبيّ مظهرين أحدهما لغويّ والآخر غير لغويّ " ⁽²⁾، وهذه الخطوات هي التّحليلُ اللغويّ بمستوياته المختلفة، والتّحليلُ المضمونيّ (الدّلائليّ)، والتّحليلُ في مستوى الرؤية الفنية ⁽³⁾. وعليه يستند الانزياحُ وهو جزء مهم من التفكير الأسلوبيّ " إلى جملة من فرضيات العمل يستقي جلّها من قواعد اللّسانيات العامّة، وعلم الدّلالات منها خاصة، وأبرزها ظاهرة تقاطع المجالات الدلالية لمجموع دوال الرصيد المعجميّ في لغة ما، ذلك أنّ مواضع اللغات في مبدأ النشأة أن يكون لكل دال مدلول واحد، ولكل مدلول دال واحد، غير أن جدليّة الاستعمال ترضخ عناصر اللغة إلى تفاعل عضوي بموجبه تنزاح الألفاظ تبعاً لسياقاتها في الاستعمال عن معانيها الوضعية، فضلاً عمّا تدخّله القنوات البلاغيّة من مجازات ليست هي في منظور اللغوي إلا انزياحات ^(*) عن المعاني الوضعية الأولى. وجملة ما ينتج عن ذلك أن

(1) عبد اللطيف، محمد حماسة، منهج في التحليل النّصيّ، ص 108.

(2) المهيري عبد القادر: البلاغة العامة، عرض حوليات الجامعة التونسية، عدد 8، 1971 م، ص 220.

(3) لمزيد انظر، حسنين نبيل علي: ديوان طرفة بن العبد دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمّان، 1999 م، ص 29 - 57.

(*) في الأصل انحرافات.

أي دال في لغة ما لا بدّ أن تتعدد مدلولاته من سياق إلى آخر، وكذلك أي صورة ذهنية مُدَلّ عليها لا بدّ أنها واحدة أو أكثر من دال في نسيج نفس اللغة " ⁽¹⁾. ويتبع ذلك اعتبار الانزياح " ضرب من الاصطلاح يقوم بين الباث والمتقبل ولكنه اصطلاح لا يطرد، وبذلك يتميز عن اصطلاح المواضع اللغوية الأولى فهو إذن تواضع جديد لا يفضي إلى عقد بين المتخاطبين " ⁽²⁾.

ولا يعني تمييز انزياحات النصّ واستخراجها كلّها أنّ كل انزياح قد اكتشف جدير " بأن يعدّ خاصيّة أسلوبية هامة. بل لا بدّ لذلك من انتظام الانزياح في علاقاته بالسياق. كما أن إلحاح المنشئ على أنماط معينة من انزياحات الاستعمال، وإيثارها على غيرها من البدائل، وما قد تسفر عنه المقارنة بين النص المدروس، والنص - النمط من اختلاف في نوعية البدائل المستخدمة وكثافتها، كل أولئك يعد من المقومات الأساسية لتمييز الأساليب، ولا بدّ للكشف عن ذلك كله من إجراء القياسات الدالة " ⁽³⁾.

ولهذا يشير " ج. ن. ليتش G. N. Leech إلى أهمية التمييز بين ما يتضمنه النص من انزياحات متفردة دال في استعمال اللغة، وبين الشطط الذي لا متعة فيه ⁽⁴⁾. ويذهب المذهب عينه " أندري مارتيني " أيضاً، حيث يرى " أنه ليس كل انزياح أسلوبياً " ⁽⁵⁾، وأن ذلك مرتبط بارتفاع نسبة الأخبار في بلاغ ما،

(1) السد نور الدين: الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص 150.

وانظر المسدي، عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، ص 58.

السد نور الدين: الأسلوبية في النقد العربي الحديث، وص 152.

(2) المسدي عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، ص 101.

(3) مصلوح سعد: الأسلوب، ص 37.

(4) المرجع السابق، ص 37.

(5) السد نور الدين: الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص 153.

فعنده حتى نعدّ هذه الظاهرة الانزياحية ظاهرة أسلوبية يجب أن تتجاوز على الأرجح نسبة الإخبار المناسبة لجدوى البلاغ، أو عدم جدواه⁽¹⁾.

وعليه فقد أصبح من القارّ أن هناك انزياحات قوية يمكن الاعتماد عليها في تحديد أسلوب النصّ، وانزياحات ضعيفة لا يمكن الاعتماد عليها في تحديد أسلوب النصّ كالفافية والوزن⁽²⁾.

أمّا ما الفائدة من الاختيار الدقيق لهذه الانزياحات ؟ أو بعبارة أخرى لماذا يحدث الانزياح ؟ فيمكننا القول: يحدث الانزياح لأنّ " اللغة كثيراً ما تعجز عن الوفاء بحق الفكرة أو الشعور " ⁽³⁾. فيلجأ إليه الأديب لسدّ هذه الثغرة. أو قد " يركن إليه الأديب لا لتلافي ما في اللغة من نقص بل لغايات شعرية وأدبية " ⁽⁴⁾. وقد يكون لأهداف فنيّة وغايات جماليّة قصد مفاجأة القارئ ولفت انتباهه وتحقيق الإثارة الذهنية، والتشويق عنده ⁽⁵⁾. والمساعدة على شرح كثير من الظواهر اللافقة في النصوص الأدبية، ويتضح ذلك " بشكل خاص في الحالات التي يرتطم فيها المؤلف بجدار الاستعمال اللغوي العادي، ويخرج عليه تلك الحالات التي كانت تعد منذ القدم درجة من درجات الحرية الخلافية، أو الضرورة الشعرية التي يستبيحها لنفسه الشاعر الكبير، وهو على ثقة من أنّها لن تعدّ عجزاً، ولا قصوراً، بل استثماراً مشروعاً لإمكانات خارجيّة عن نطاق

(1) انظر، المرجع السابق، ص 153.

(2) شبلنر برند: علم اللغة والدراسات الأدبية، ص 67 .

(3) ويس أحمد محمد: الانزياح، ص 63.

(4) المهيري عبد القدر: البلاغة العامة، ص 216.

(5) سليمان فتح الله أحمد: الأسلوبية مدخل نظريّ ودراسة تطبيقية في شعر الباروديّ، الدار الفنيّة، القاهرة،

1990 م، ص 20.

وانظر، محمد خير الدين: مقامات بديع الزمان الهمداني، ص 68. وعياد، شكري، اللغة والإبداع — مبادئ

علم الأسلوب العربي، ط1، 1988 م، ص 89.

التعبير العاديّ المألوف، وتفجير لدرجة عليا من الشعر لا يأتي الوصول إليها بشكل آخر⁽¹⁾. وقد يرمي الانزياح إلى " فراغ في المعجم بوضع كلمة جديدة، أو استعمال كلمة موجودة في معنى جديد "⁽²⁾، فيجعل بهذا " للدال امكانية تعدد مدلولاته "⁽³⁾.

وعلى العموم " إنّ الوظيفة الرئيسيّة التي أكثرت الدّراسات الأسلوبية من نسبتها إلى الانزياح إنما هي المفاجأة "⁽⁴⁾. " ولذلك يميل بعض علماء الأسلوب إلى اعتبار الانحراف حيلة مقصودة لجذب انتباه القارئ، وتحقيق الأثر الكلي للنص "⁽⁵⁾. ولهذا فإنّ العبرة من الانزياح هي أن " تفاجئ القارئ، أو المستمع، ولو مفاجأة خفيفة، وأن تكون لها دلالة مرتبطة بالموقف "⁽⁶⁾.

أقسام الانزياح

واكب التوسع المتزايد والمطرّد في فهم الانزياح تطوّر أقسامه، فأصبحت الانزياحات لهذا قسمين تنضوي تحتها أقسام كثيرة^(*)، أما القسمان الرئيسيان فهما:

(1) فضل صلاح: علم الأسلوب، ص 157.

(2) المهيريّ عبد القادر: البلاغة العامة، ص 216.

(3) السد نور الدين: الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص 149.

(4) ويس، أحمد محمد الانزياح، ص 138.

(5) عباد، شكري، اللغة والإبداع، ص 79.

(6) المرجع السابق، ص 96.

(*) نذكر هنا أن الانزياح هو " ابتعاد متعمد من قبل المؤلف " فضل، صلاح، علم الأسلوب، ص 157.

وضابطه هو القارئ،

وانظر، عبد الله، إبراهيم : الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص 91.

أولاً: انزياح البنية أو الشكل:

ويقصد به " انزياح عنصر من العناصر المكونة للنص عن مقصود عنصر سابق عليه مما يؤدي إلى قطع التسارع الدلالي، وكسر السياق، وتمزيق التناغم الداخلي، وتفتيت الوحدة المعرفية الأساسية لتنامي النص، وجعلها وحدات يربط بينها عنقود الوزن، وعقد الإيقاع. وقد سمي هذا الضرب من الانزياح " المتنافر" ⁽¹⁾، ومثال ذلك قول حبيب بن أوس:

أحمدُ إنَّ الحاسدين حُشودُ وإنَّ مصابَّ المزنِ حيثُ تُريدُ⁽²⁾

ويتفرع هذا النوع من الانزياحات إلى فرعين كبيرين هما:

1) الانزياح الاستبدالي^(*) (اختيارات معجمية، جدول الاختيارات ^(**)): ويكون الانزياح فيه متعلقاً بجوهر المادة اللغوية⁽³⁾، وتمثل الاستعارة عماد هذا النوع من الانزياح. ونعني هنا بها الاستعارة المفردة حصراً، تلك التي تقوم على كلمة واحدة. تستعمل بمعنى مشابه لمعناها الأصلي، ومختلف عنه، أو هي نقلُ اسم شيء إلى اسم آخر، وإذا حاكمنا ذلك بما انتهت إليه البلاغة العربية يكون معادلاً للمجاز اللغوي الذي يشمل الاستعارة، والمجاز المرسل⁽⁴⁾.

(1) عياشي منذر: مقالات في الأسلوبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1991 م، ص 80.

(2) أبو تمام: ديوان أبي تمام، تقديم وشرح محيي الدين صبحي، ط1، دار صادر، بيروت، 1997م، ص 225/1. مصابُّ المزن: موضع انصبابه، والمزن: المطر، أي يصبُّ المزنُ حيثُ تريد.

(*) حسبما سماه " كوهن "، انظر ويس أحمد محمد: الانزياح، ص 49.

(**) انظر، المسدي عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، ص 159 - 160.

(3) انظر، ويس أحمد محمد: الانزياح، ص 94.

(4) انظر، المرجع السابق، ص 94-95.

استأثر الحديث في الاستعارة بالاهتمام " فغطى ذلك على غيرها مما يمكن أن يلحق بها كالتشبيه مثلاً، بيد أن الحقيقة هي أن التشبيه وإن اعتبر في البلاغة القديمة متضمناً في الاستعارة، يظل أقل قيمة من الاستعارة... ومن الممكن القول أخيراً إن الاستعارة وهي تمثل خلاصة النوع الأول من الانزياح الذي يتعلق بجوهر الوحدة اللغوية أو بدلالاتها " (1).

(2) الانزياح التركيبي (توزيع العلاقات الركنية *): إن تركيب الاستعارة قد يستتبع " انزياحاً من نوع آخر يرتبط بتركيب جملة من الوحدات اللغوية، ولئن لم تستتبع بالضرورة مثل هذا الانزياح، فإنها لا بد أن تدخل في علاقة مع البقية من أجزاء النص " (2).

ويتعلق هذا الفرع بالتحديد بتركيب المادة اللغوية مع جاراتها في السياق الذي ترد فيه، سياقاً قد يطول، أو قد يقصر (3). " ويحدث مثل هذا الانزياح من خلال طريقة في الربط بين الدوال بعضها ببعض في العبارة الواحدة، أو في التركيب، والفقرة. ومن المقرر أن تركيب العبارة الأدبية عامة، والشعرية منها على نحو خاص، يختلف عنه في الكلام العادي، أو في النثر العلمي " (4).

ولا بدّ بعد هذا من الإشارة إلى ممثلات الانزياح التركيبي، فعلى سبيل الذكر لا الحصر:

(1) المرجع نفسه، ص 102-103.

* انظر، المسدي عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، ص 159-160.

(2) ويس أحمد محمد: الانزياح، ص 103.

(3) انظر، المرجع السابق، ص 94.

(4) المرجع نفسه، ص 103.

1. التكرار: وينقسم إلى:

أ. تكرار حرف أو أكثر لإدخال تنوع صوتي يخرج القول عن نمطية الوزن المألوف ليحدث فيه إيقاعاً خاصاً يؤكد التكرار.

ب. تكرار كلمة بنفسها أو ببدائلها.

ج. تكرار الجمل.

ولهذا النوع من الانزياح معان، فهو إما أن يكون لإدخال تنوع صوتي يُخرج القول عن نمطية الوزن المألوف ليحدث فيه إيقاعاً خاصاً، وإما أن يكون لشد الانتباه إلى كلمة أو كلمات بعينها عن طريق تأليف الأصوات فيها، وأما أن يكون لتأكيد أمر اقتضاه القصد فتساوقت الحروف المكررة في نطقها له مع الدلالة في التعبير عنه. وإما أنه يسهل استقبال الرسالة، وإما إعادة صياغة بعض الصور، أو تكثيف الدلالة الإيحائية للنص. وإما (كما في تكرار الجمل) شد أطراف النص بعضها إلى بعض، ويعطي شكله نوعاً من الحرية يدور فيها الكلام على نفسه، ويتكرر دون أن يعيد معناه. وإما لتكوين النص بمعان ثانية كالاستفهام، أو التأكيد، أو السخرية⁽¹⁾.

2. التقديم والتأخير : إنّ الانزياحات التركيبية في الفن الأدبي ومهما يكن من أمرٍ تتمثل أكثر شيء في التقديم والتأخير⁽²⁾.

(1) انظر، عياشي، منذر، مقالات في الأسلوبية، ص 81-89.

ولمزيد انظر، السليكي، خالد، من النقد المعيارى إلى التحليل اللساني، عالم الفكر، مجلد 23، عدد 1-2، 1994 م، ص 407-412.

(2) انظر، ويس، أحمد محمد، الانزياح، ص 104.

3. الحذف والإضافة: يلاحظ في كثير من الأحيان وفي الشعر خاصة حذف أشياء لا ترى محذوفة في الكلام العادي، وذكر أشياء لا ترى في الكلام العادي⁽¹⁾، "ولكن ذلك لا ينسحب على كل حذف وإضافة لأن ثمة في الكلام العادي أيضاً حذفاً وإضافة، وعلى ذلك لا يعد هذان انزياحاً إلا إذا حققا غرابة ومفاجأة، وإلا إذا حملا قيمة جمالية ما"⁽²⁾.

4. تركيب الأصوات أو الحروف في الكلمة: وهو نوع مهم غير أنه يكاد يكون إقحام هذا النوع متعذراً؛ لأنّ هذا التركيب يكون ناجزاً قبل إبداع النص، وتتوارثه الأجيال دون أن يكون لها فيه رأي، وهذا في لغتنا على الأقل. فأما غيرها من لغات فقد تقل صرامتها، فتقبل بين الفينة والأخرى بعض كلمات مبتدعة تدخل المعجم كغيرها من الكلمات، وتصير مشاعة للجميع، وطبعاً فهذا أمر بعيد عن مجال الفن⁽³⁾.

5. تركيب مجموعة الجمل بعضها مع بعضها الآخر: إن تركيب مجموع الجمل بعضها مع بعض لا يكون بلا هدف بل كي تشكل في نهاية الأمر بنية النص كله. وعلى ذلك فثمة مستويان من هذا التركيب يتحكم بهما المبدع، يستدعي بالضرورة ثانيها أولهما وهما: مستوى تركيب الكلمات في الجمل، ومستوى تركيب الجمل في النص، والانزياح وارد في كلا المستويين⁽⁴⁾.

(1) انظر، المرجع السابق، ص 108.

(2) المرجع نفسه، ص 108.

(3) انظر، ويس، أحمد محمد، الانزياح، ص 109.

(4) انظر، ويس، أحمد محمد، الانزياح، ص 109.



6. الانتقال من أسلوب إلى آخر انتقالاً مفاجئاً يستهدف إحداث تأثير فني⁽¹⁾، ومن هذا النوع:

أ. التحول من أسلوب إلى آخر، مثل الانتقال من النظم الشعري إلى اللهجة الدارجة كي يتحقق نوع معين من التأثير⁽²⁾.

ب. الترويح الكوميدي في المأساة⁽³⁾.

ج. الالتفات في الرواية الحديثة⁽⁴⁾.

د. التصوير الحرّ في الانتقال المفاجئ، وتحريك عناصر الواقع فيما يعرف بالخلط الزماني والمكاني⁽⁵⁾.

هـ. الانزياح السكوني: الذي لصور البلاغة ويتبدى كبعد عن التعبير المشترك⁽⁶⁾.

و. الانزياح الحركي: والذي يتبدى كانقطاع في الزمان أو قفزة إلى المبادهة⁽⁷⁾.

ز. الانزياح السياقي: الذي للأسلوبيات، ويتبدى كشذوذ دلالي، استناداً إلى تصادم السياقات، ناهيك أن الأسلوب كفرادة شعريّة هو نفسه يؤسس قطعاً في النسيج اللغوي⁽¹⁾.

(1) انظر، المرجع السابق، ص 110.

(2) انظر، المرجع نفسه، ص 110.

(3) انظر، المرجع نفسه، ص 110.

(4) انظر، المرجع السابق، ص 110.

(5) انظر، المرجع السابق، ص 110.

(6) انظر، ابن ذريل عدنان: النقد والأسلوبية، ص 27.

(7) انظر، المرجع نفسه، ص 27.

على أنه " يبقى أخيراً القول بأنّ النظرة الكلية الشاملة إلى النص من شأنها أن تكشف عن ظواهر غير عادية من مثل توزيع عناصر الأسلوبية توزيعاً غير متعادل مما يلفت النظر إليه ^(*) كأنّ تكثّر مثلاً الاستعارة في جزء من النص، وتقلّ أو تنعدم في باقي أجزائه، أو كأنّ يتكرر عنصر أسلوبى ما، ويشكل تكراره في النص ملمحاً بارزاً غير عادي، إلى غير ذلك من بناء تسلسلات متشابكة، ومعقدة من الجمل يشكل بناؤها انزياحاً غير مألوف " ⁽²⁾.

ومن استقراء النتائج البحثية السابقة نجد أنّ " أكثر الانزياحات توفراً في الشعر نوعان هما:

1. المجازات بأنواعها المختلفة، وهي انزياحات بلاغية.

2. أشكال القلب من تقديم وتأخير، وهي ما يسمى عادة بـ(الجوازات الشعرية)، وكانت البلاغة تدرسها في حين تعدّ اليوم انزياحات شعرية " ⁽³⁾.

ثانياً: انزياح الوظيفة (الانزياح الوظيفي):

ويعنى بالوظيفة التي يؤديها الانزياح البنيوي في السياق. ومن أهم مظاهره:

1. انزياح النص عن وحدته المنطقية، واحتوائه على المتناقضين، ومن ذلك قول أبي تمام:

(1) انظر، المرجع السابق، ص 27 .

(*) انظر، فضل صلاح : علم الأسلوب، ص 199.

(2) ويس أحمد محمد : الانزياح، ص 110.

(3) ابن ذريل، عدنان: النقد والأسلوبية، ص 28.

لَعَبَ الشَّيْبُ بِالمَفَارِقِ بَلْ جَدٌ دَ فَأُبْكِي تَمَاضِراً وَلَعُوباً
يَا نَسِيبَ الثَّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى حَسَنَاتِي عِنْدَ الحَسَانِ ذُنُوباً
وَلئنْ عَيْنٌ مَا رَأَيْنَ لَقَدْ أَنَا كَرَنَ مُسْتَنَكِراً وَعَيْنٌ مَعِيَا (1)

حيث نجد النص يضع أمامنا صورة لحسان يبكين مشيب الرجل أولاً، ثم يفاجئنا عن معنى آخر يعين فيه الرجل على مشيبه (2).

2. مخالفة النص لنفسه، وأنزياح العبارة فيه عن غاية المتكلم (3)، ومن ذلك قول أبي تمام مادحاً:

وَكُنْ كَرِيماً تَجِدْ كَرِيماً فِي مَدَحِهِ يَا أَبَا المُنْغِيثِ (4)

3. انزياح النص عن الشيفرة [الدلالة] اللغوية المتعارف عليها: ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً﴾ (5).

4. الإيحاء: ويقصد به إعطاء المعنى بشكل غير مباشر، ولذا تظهر فيه خافية النفس من غير توقع (6)، ويمكن تمثيل ذلك بقول مجنون ليلى:

(1) ديوان أبي تمام، ص 133 / م 1. تماضر ولعوب: من أسماء النساء. أراد بنسب الثغام: الشيب؛ لأن الثغام نبت أبيض. الحسان: النساء الغنيات بحسنهنّ وجهالهنّ عن التّزّين. الحسان: ويُروى الغواني.

(2) انظر، عياشي، منذر، مقالات في الأسلوبية، ص 80.

(3) انظر، عياشي، منذر، مقالات في الأسلوبية، ص 80-81.

(4) ديوان أبي تمام، ص 195 / م 1.

(5) سورة الفرقان، الآية 47.

(6) انظر، عياشي، منذر: مقالات في الأسلوبية، ص 89-90.

أَسْرَبَ الْقَطَا هَلْ مِنْ مُعِيرٍ جَنَاحَهُ لَعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ أَطِيرُ⁽¹⁾
أو قد تُظْهَرُ فِيهِ إِرَادَةُ التَّعْبِيرِ عَلَى غَيْرِ الْمَعْهُودِ⁽²⁾، ويمكن تمثيل الحالة بقول المتنبي:

وَرَجَعَ الشَّمْسُ نُورًا كَانَ فَارَقَهَا كَأَنَّمَا فَقَدَهُ فِي جِسْمِهَا سَقَمُ
وَلَا حَ بَرْقُكَ لِي مِنْ عَارِضِي مَلِكٍ مَا يَسْقُطُ الْغَيْثُ إِلَّا حَيْثُ يَبْتَسِمُ⁽³⁾

أو قد تُظْهَرُ بِهِ رَغْبَةُ الْقَوْلِ بِشَكْلِ مُخَالَفٍ⁽⁴⁾، ويمكن تمثيل الحالة بقول أبي تمام:

مَا زَالَ يَهْذِي بِالْمَوَاهِبِ دَائِبًا حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ مَحْمُومٌ⁽⁵⁾

وهناك أقسام أخرى كالانزياح الصفري الذي يدل معناه على ظاهر لفظه، والانزياح المقبول العقلي المنحرف بفنية منطقية، والانزياح المستحيل، والانزياح اللامعقول، والانزياح الثقافي، والانزياح الإثاري⁽⁶⁾.

(1) ابن المُلَوِّح، قيس، ديوان مجنون ليلي، شرح يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1994 م، ص 87.

(2) انظر، عياشي مندر: مقالات في الأسلوبية، ص 89-90.

(3) المتنبي، أبو الطيب: شرح ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1986م، ج4، ص 91.

(4) انظر عياشي: مندر، مقالات في الأسلوبية، ص 89-90.

(5) ديوان أبي تمام، ص 153 /م2. بالمواهب دائباً: ويروى بالماكارم والعلى. يهذي: يتكلم بغير معقول. دائباً: جاداً مستمراً.

(6) انظر، اليافي نعيم: الانزياح والدلالة، ص 29-30.

معايير الانزياح

المعيار لغة:

جاء في لسان العرب: المِغيار من المكايل: ما عَيَّرَ. والعِيَار ما عَايَرَتْ به المكايل، فالعِيَار صحيح تامٌّ وافٍ، تقول: عَايَرْتُ به أي سَوَّيْتُهُ، وهو العِيَار والمِغيار. يقال: عَايَرُوا ما بين مكايلكم ومَوَازِينكم، وهو فاعِلُوا من العِيَار، ولا تقل: عَيَّرُوا. وعَيَّرْتُ الدنانير: وهو أَنْ تُلْقِيَ ديناراً ديناراً فتُوازِنَ به ديناراً ديناراً، وكذلك عَيَّرْتُ تَعْيِيراً إذا وَزَنْتَ واحداً واحداً. يقال هذا في الكيل والوزن. ولا يكون عَيَّرْتُ إلا من العار والتَّعْيِير⁽¹⁾.

المعيار اصطلاحاً:

يمكنُ تعريفُ المعيار اصطلاحاً بقولنا: إِنَّهُ مقياس أو أنموذج أو مبدأ أساسي يهدف إلى تحديد الطريقة الأساسية السليمة لتحديد وقياس وعرض والإفصاح عن عناصر النصّ المنزاحة، وتأثير العمليات اللغوية على قواعده الأصلية.

وعليه فإنَّ غيابَ المعيارِ يؤثِّرُ بشكلٍ واضحٍ في قدرتنا على التفاعل مع النصّ، وفي قُدرة الناقد على التحليل والبوح. ولقد أدرك كثير من النقاد أهمية وجوده، وعرفوا خطورة غيابه أو عدم تحديده؛ فهو الأساس الذي تَبْنِي على هُداة عملية القياس. وتَتَضَيَّحُ خطورةُ غيابه في جوانب متعددة منها:

1. تعقيد عملية اختيار النصوص التي ستخضع للدراسة.
2. اختلاف أسس دراسة النصوص بين الدارسين.
3. الخطأ في عملية اختيار الانزياحات وتصنيفها حسب أهميتها أو نوعها، خاصة عند الأخذ في الحسبان تغير فنون الكتابة وتطوّرها.

(1) انظر، ابن منظور: لسان العرب، مادة "ع ي ر".

4. عدم الحصول على تقييم دقيق للنصوص.
5. عدم قدرة الناقد المبتدئ على استخراج الانزياحات وفهم النص.
6. عدم قدرة المُتلقّي على التفاعل مع النص بشكل كبير فاعلٍ.

وعلى العموم ليست عمليّة إيجاد معيارٍ هي المشكلة الأساس في تقييم الانزياحات وتحديدّها، إذ تكمن إشكالية هذا المسبار الأسلوبيّ الرّئيسة في النّمط المعياريّ الذي يُقاسُ به، واعتماده نموذجاً للقياس غير مستقر، فالدراسة تكشف غير حدٍّ للنّمط المعياريّ⁽¹⁾؛ فجميع الدّارسين الأسلوبيين مُتفقون على أن الخروج لا بدّ له من نقطة صفرٍ يبدأ منها هذا الخروج أو الانزياح، أو لا بدّ له من معيار ينزاح عنه ويخرج عليه، ولكنهم كما أُلحنا اختلفوا حول تحديد هذا المعيار⁽²⁾.

وبناءً عليه كثرت المقاييس التي تكشف عن الانزياح في النصّ، وربما يعود السبب إلى أنّ الأسلوبيين " لم يتفقوا على معيار لهذا الانزياح، فالحق أنّ ثمة صعوبة في تحديد هذا المعيار إذ هو مفهوم فرّار، وكائن ذو عقل لا نستطيع أن نجد له في الواقع أي تصور دقيق " ⁽³⁾ أضف إلى ذلك " أنه مفهوم معقّد ومتغير تشارك عدّة عوامل وأدوات في تحديده " ⁽⁴⁾.

وعلى العموم يمكن أن نرى القول الذي مفاده أنّ ضابط الانزياح هو القارئ⁽⁵⁾، قول صادق إلى أبعد تصوراتنا. فما يمتلكه القارئ بغض النظر عن

(1) انظر، عبد الله إبراهيم : الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص 103.

(2) انظر، ويس أحمد محمد : الانزياح والدلالة، ص 28.

(3) ويس أحمد محمد: الانزياح، ص 112-113.

(4) المرجع السابق، ص 112-113.

(5) انظر، عبد الله إبراهيم : الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص 91.

إمكانات المبدع من ثقافة ورؤية خاصّة ناتجة عن عدد المواقف والتجارب التي مرّ بها وأثّرت فيه هو وحده الذي يُحدّد أنّ هذا انزياح أو أنّه غير ذلك.

وقد قسمت هذه المعايير إلى قسمين كبيرين هما: معايير خارجية، ومعايير داخلية، "تندرج في رمتها فيما أطلق عليه "رولان بارت" مصطلح درجة الصفر البلاغيّة" ⁽¹⁾، ومهما يكن من أمر فإنّ "اللغة نتاج معياريّ تقوم معاييرها بين السنن اللغويّ، وبين الكلام المنقّد، فتتحكم بالنظام اللغويّ، وأيضاً باستعمالات الناس له" ⁽²⁾ وفي الواقع لن يخرج المعيار عن هذا، لكنه قد يتسع أحياناً ويضيق كثيراً أخرى.

أولاً: المعايير الخارجية

وتتشكل المعايير الخارجية إذا تمّ اعتماد النظام اللغوي معياراً ⁽³⁾. وإن النظام اللغوي وإن تقيّد الأداء به هو الذي يجعل النظام معياراً، ويعطيه مصداقية الحكم على صحة الإنتاج اللغوي وقبوله. أمّا الانزياح فيظهر إزاء هذا على أنواع حسب المعيار المستخدم: إنّه إمّا خروج على الاستعمال المألوف للغة، وإمّا خروج على النظام اللغوي نفسه، أي خروج على جملة القواعد التي يصير بها الأداء إلى وجوده، وإمّا خروج عن الشائع إلخ. وهو يبدو فيها كما نلاحظ وكأنه كسر للمعيار. غير أنّه لا يتم إلا بقصد من الكاتب أو المتكلم، وهذا ما

(1) المرجع السابق ص 113.

(2) ابن ذريل، عدنان، النقد والأسلوبية، ص 25 .

(3) محمد خير الدين: مقامات بديع الزمان الهمداني، ص 69.

وانظر عبد اللطيف محمد حماسة : منهج في التحليل النصي للقصيدة، ص 112.

يعطي لوقوعه قيمة لغوية، وجمالية ترقى به إلى رتبة الحدث الأسلوبى⁽¹⁾.
والمعايير الخارجية كثيرة، ويمكن القول إن أهمها:

1. النظام اللغوي: ويقصد به " جملة قواعد اللغة التي تتم بها الكتابة حيث تصطدم ظواهر الاستعمال اللغوي في الكلام بمستوى اللغة الثابت ويصبح الأسلوب حينئذ هو العدوان على نظام اللغة " ⁽²⁾.

ويدرك الأسلوب في هذا التصور على أنه انتهاك لنظام اللغة ولا يناقض هذا التصور الحقيقة الواضحة وهي أن ظواهر الكلام بوصفها تحقيقات فردية شخصية تنحرف بدرجة مؤكدة عن الوصف العام لنظام اللغة. ومستوى المقارنة هنا يتم بين النص المراد تحليله، والوصف العلمي الذي تمّ للغة لا اللغة نفسها^{(*) (3)}.

2. مستوى الكلام (استعمال الفعل للغة^(*)): ويكون المعيار في هذه الحالة هو الكلام فقط دون اللغة، والأسلوب انزياح عنه⁽⁴⁾.

3. المقدرة اللغوية: وهو تصور كسابقه تقريباً لكنه مقترن بالتطور الذي حدث بظهور النحو التحويليّ التوليديّ، ويعتبر هذا التصور الأسلوب انزياحاً عن مقاييسه.

(1) انظر، عياشي منذر: مقالات في الأسلوبية، ص 81 .

(2) فضل صلاح: علم الأسلوب، ص 157.

(*) يعترض صلاح فضل على هذه النقطة ويعدها مما يضعف هذا التصور، ولكن الذي نعتقد فيه الصحة ما أثبتناه.

انظر، المرجع السابق، ص 156.

(3) انظر شبلنر برند: علم اللغة والدراسات الأدبية، ص 68.

(*) انظر عياشي منذر: مقالات في الأسلوبية، ص 81.

(4) انظر شبلنر برند: علم اللغة والدراسات الأدبية، ص 69 .

4. الاستعمال اللغوي المؤلف العام (أو قاعدة الاستخدام اللغوي^(*)) ويكون الأسلوب في هذه الحالة أنزياحاً عن " تعليمات القواعد النحوية المعيارية المعاصرة المألوفة، وتعليمات البلاغة. ويمكن تصورها على أنها اجتماعية⁽¹⁾ .

ويؤخذ في هذا المجال بعين الاعتبار الانزياحات التي يجريها مؤلف معين عن التصورات النحوية والبلاغية السائدة في عصره، وكلاهما يمكن تحديده اجتماعياً⁽²⁾، وتصبح هنا " القاعدة الأسلوبية هي الإشارة الصالحة اجتماعياً للفروق المترادفة على مستوى معين من التطبيق⁽³⁾ .

5. الاستعمال الشائع^(*): وهذا المعيار معيار متغير غير ثابت لأنّ الاستعمال يتغير من عصر إلى آخر. ويُعرفُ الاستعمالُ الشائعُ باستخدام وسائل إحصائية، واستخراج متوسط الإحصاء لهذا الاستعمال. ويعتبر الأسلوب حينها أنزياحٌ دالٌّ لهذه الوسائل اللغوية في النصّ المدروس بالقياس عن هذا المتوسط الإحصائيّ المشار إليه⁽⁴⁾. لجميع الوسائل اللغوية لعدد من

(*) انظر المرجع السابق، ص 68 .

(1) انظر المرجع نفسه، ص 68 .

(2) انظر فضل صلاح: علم الأسلوب، ص 158.

(3) المرجع السابق، ص 158 .

(*) يسميها ريفاتير الكلام الجاري في استعماله العادي والحيادي، انظر السد، نور الدين، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص 150.

(4) انظر، شبلنر برند: علم اللغة والدراسات الأدبية، ص 71.

وفضل صلاح: علم الأسلوب، ص 158، وعبد، رجاء، البحث الأسلوبيّ، ص 184.

النصوص الموجودة⁽¹⁾. وقد كان لـبيير جيرو عام 1954 فضل البحث عن هذا المقياس⁽²⁾.

6. نموذج لغوي مثالي في ذهن المجتمع: ويقصد بذلك أن يكون المعيار " نموذج مثالي لغوي حاضر أمام الجماعة اللغوية، وهو نموذج تنحو إلى تطبيقه دون أن تظفر بذلك نهائياً في الواقع اللغوي"⁽³⁾، وبكلمات أخرى "إنه نموذج لغوي يطمح إليه الإنسان دون أن يصل تماماً إليه في الاستعمال اللغوي"⁽⁴⁾.

ثانياً: المعايير الداخلية

تشكل المعايير الداخلية باعتماد النسيج النصي معياراً. ويبدو أن المعيار الداخلي أوضح في الكيفية من المعيار الخارجي ذلك أنه لا يفترض وجود معيار خارج النص؛ لأن معياره هو التركيب اللغوي الداخلي نفسه. أضف إلى ذلك أنه لا يفترض قاعدة سابقة الوجود بشكل خارج عن النص، فهو يعتمد على البنية اللغوية الداخلية له.

يعد اعتماد العمل المقروء ذاته معياراً أيسر المعايير منالاً، وأقربها إلى الثقة، وأفضلها كشفاً عن التفاعل داخل النص نفسه، ورؤية متغيراته مع ثوابته وحركته الداخلية إلى جانب تكامله الخارجي⁽⁵⁾. وفكرة المعيار الداخلي هي الفكرة التي استقرّ عندها " ريفاتير " بعد أن تبين له أن طريقة القارئ العُمدة

(1) انظر، فضل صلاح: علم الأسلوب، ص 158.

(2) انظر، عبد اللطيف محمد حماسة : منهج في التحليل النصي، ص 112.

والسد نور الدين: الأسلوبية في النقد العربي المعاصر، ص 149-155.

(3) فضل صلاح: علم الأسلوب، ص 159.

(4) شبلنر برند: علم اللغة والدراسات الأدبية، ص 71.

(5) انظر، عياد شكري: اللغة والإبداع، ص 90.

لا تكفي لاكتشاف الانزياحات المهمة في النص ⁽¹⁾. ويحدد " ريفاتير " هذا المعيار بـ " السياق "، ويريد به معناه الأضيق ، أي السياق اللغوي، دون السياق الخارجي (ظروف القول). ويسمى وحدته الأساسية " السياق الأصغر " الذي يكون مع الانزياح أو المخالفة ما يسميه مسلكاً أسلوبياً هو ثنائية بنوية تعتمد على التضاد وطرفاه السياق والمخالفة ⁽²⁾.

المسلك الأسلوبى = ثنائية بنوية السياق الأصغر + المخالفة .

متضادة = استعارة تقوم على نعت الشيء بما لا يعد

و = من صفاته

و = عطر صارخ.

و = شمس + سوداء.

ويمكن أن يدخل هذا السياق الأصغر في سياق أكبر، أي أن التأثير الأسلوبى يتجاوز حدود القطبين " سياق + مخالفة " ليشغل سلسلة لغوية ممتدة، يكون السياق الأصغر جزءاً منها، ولا تنحصر داخل حدود الجملة النحوية، أو عدد معين من الجمل. إنما تتحدد نهايتها بشعور القارئ، كما تتحدد بدايتها بقدرته على التذكر. ويعين " ريفاتير " شكلين أساسيين لهذا السياق الأكبر:

سياق + مسلك أسلوبى + سياق أو

سياق + مسلك أسلوبى يبتدئ سياقاً جديداً + مسلك أسلوبى

(1) انظر، المرجع السابق، ص 91 .

(2) انظر، المرجع السابق، ص 91- 92 .

فكأن السياق الأكبر في كلتا الحالتين يتحدد بالعبارات التي تحيط بالسياق الأصغر، وإن كان من الجائز أن تمتد المخالفة حتى تصبح هي نفسها سياقاً⁽¹⁾.

كما ويمكن اعتبار مجموع نصوص كاتب ما نصاً واحداً، وبناءً متحركاً يغير بعضه بعضاً، ويقع الانزياح بهذا لدى المبدع في نصّ بالقياس إلى باقي نصوصه، ويبدو بعضه منزاحاً بالقياس إلى الباقي⁽²⁾.

وثمة معيار للانزياح الداخلي يُمكن أن نسميه "الحشو"، وإن إدراك مفهوم الحشو يُفسر لنا بدوره تأثير الانزياح "ويمكننا أن نعبر عن الحشو بعبارة مثل "زيادة الفائدة" لأنه مقدار زائد عن حاجة الإعلام، ولكنه يمكن أن يكون مفيداً لتعويض عناصر أخرى. وتظهر قيمة الحشو حينما توجد ضوضاء تعوق وصول الرسالة. والضوضاء بالمعنى الحسي من العوامل التي يجب أن يحسبها مهندسو الإعلام. ومن طبيعة النشرات الإخبارية الإذاعية أن تحتوي قدراً كبيراً من الحشو لأن ذلك يضمن وصول الرسالة إذا حُجبت الضوضاء بعض حروفها أو كلماتها. ولهذا وجد علماء الأسلوب في مفهوم الحشو تفسيراً، وتقوية لمفهوم الانزياح ذلك أن هناك علاقة عكسية بين التوقع من ناحية، والمفاجأة والانتباه من ناحية أخرى، فإذا زادت نسبة التوقع قلت المفاجأة، ونسبة الانتباه بالتبع⁽³⁾.

وتنقسم هذه المعايير السابقة كلها أو ما قد يسمى المقارنات بين النص الخاضع للدراسة والمعيّار إلى قسمين: مقارنة صريحة explicit comparison حين يكون النصّ النمط متعيّناً، ومقارنة ضمنية implicit comparison عند غياب

(1) انظر، المرجع السابق، ص 92. وعبد الله، إبراهيم، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص

108-109، ويس أحمد محمد: الانزياح، ص 120-123.

(2) انظر، ويس أحمد محمد: الانزياح، ص 111.

(3) انظر، عياد شكري: اللغة والإبداع، ص 79-81.

النص - النمط المتعين. وأياً ما كان نوع المقارنة فإنها تشكل الوسيلة المنهجية الأساسية التي هي قوام التمييز بين الأساليب ⁽¹⁾. ويمكننا بعد القول إنّ من العجز تحديد معيار لتعيين الانزياح، ومن ثم فلا مناص من أن تتعاون مختلف المعايير في ذلك وحسبها تقتضيه تركيبة النصّ وملابساته ⁽²⁾.

وننبه أخيراً بالقول: إنّ الانزياح لا يعني في أي حال من أحواله مخالفة القواعد، كما فعل بعض أتباع "تشومسكي" الذين ذهبوا إلى أن الجملة التي تخالف قاعدة أصلية في النحو تكون أقل نحوية، ومن ثمّ أكثر انحرافاً من تلك التي تخالف قاعدة أكثر تخصيصاً ⁽³⁾. ذلك "أنّ اللغة الفنية لن تخالف القواعد الأصلية على كل حال، وإلاّ كانت غير مقبولة إطلاقاً. وهذا مقنع إذا سلمنا بأنّ إمكانيات اللغة وقواعدها تتيح للمبدع ألواناً كثيرة من التصرف. وحينئذ فإنّ مكمن قوته لا يكون في أن يجترح لنفسه قواعد جديدة، وإنما في أن يكرس هذه الإمكانيات لبناء ما يريد على نحو جديد، أو يشبه الجديد، وفي هذا أيضاً يكمن الفارق بين المبدع وغير المبدع" ⁽⁴⁾، ويذهب إلى قريب من هذا "بوداغوف" حيث يقول: "ليس بالضرورة أن تقوم اللغة والأسلوب على كلمات جديدة، أو تراكيب نحوية جديدة، إذ يمكننا أن نؤدي بالمفردات القديمة، أو التراكيب النحوية القديمة ما نريد، بحيث يكون له وقع جديد، ويبدو كأنه شيء لم

(1) انظر، مصلوح سعد: الأسلوب، ص 28.

(2) انظر ويس، أحمد محمد: الانزياح، ص 134.

(3) انظر، عياد شكري: اللغة والإبداع، ص 85-87. وانظر أيضاً، محمد، خير الدين، مقامات بديع الزمن الهمداني، ص 71. وعياد شكري: مدخل إلى علم الأسلوب، ص 36-37.

ومن أيدهم أيضاً: السليكي خالد: من النقد المعيارى إلى التحليل اللساني، ص 297، وص 412. الحلواني محمد خير: النقد الأدبي والنظرية اللغوية، المعرفة، عدد 232، 1981 م، ص 40، وعيد رجاء: البحث الأسلوبى، ص 146.

(4) ويس أحمد محمد: الانزياح، ص 108 - 109.

يسبق إليه أحد" ⁽¹⁾. وفي هذه الحالة لا يجوز استخدام مصطلح القاعدة، كما لا يجوز القول إن الانزياح يعني العدول عن الأفصح إلى الأقل فصاحة؛ لأنّ الجواز في النحو له معنى آخر لا يتعلق بدرجات الفصاحة. عندما يقول ابن مالك مثلاً:

والأصل في الأخبار أن تؤخراً وجوزوا التقديم إذ لا ضرراً⁽²⁾

فليس ذلك أنّ تقديم الخبر يعدّ في مرتبة دون تقديم المبتدأ من حيث الفصاحة. وإنما معناه أنّ تقديم المبتدأ هو "الأصل"، والأصل في النحو يتفق عادة مع المنطق الفطري، وهذا المنطق يقضي أنّك إذا أردت أن تتحدث عن أمر ما سميتّه أولاً ثمّ عقت بما تريد تقريره عنه. فإذا عكست هذا الوضع فقد عدلت عن الأصل الذي يقتضيه المنطق الفطريّ، ولا يدفعك إلى ذلك إلّا مؤثر آخر غير منطقيّ، أي مؤثر وجدانيّ. أي إنّ الانزياح لا يعني مخالفة القواعد إنّما يعني العدول عن الأصل، ثمّ إنّ هناك اعتبارين مهمين:

أولهما: أننا لا ينبغي أن نقيس الانزياحات أو غيرها من السمات الأسلوبية بقواعد اللغة بصورة مطلقة وشاملة، فتقسيم كل قاعدة إلى "أصل" و "فرع" يجب أن يكون مبدأ مرعياً في كتب النحو. ثمّ يجب ألا يكون معيار الانزياح هو كتب النحو المطولة، ولا معاجم اللغة الموسعة، فالمعيار في كل دراسة أسلوبية هو اللغة الجارية.

(1) المرجع السابق، ص 108-109.

(2) ابن عقيل بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن الهاشمي: ت (769 هـ)، شرح ابن عقيل ومنحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، محمد محيي الدين عبد الحميد، مراجعة محمد أسعد النادري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2000 م، ج1، م1، ص 212.



والاعتبار الثاني: هو أنّ المعيار الكميّ نافع في تعيين الانزياح، كذلك يمكننا تعيين الانزياح بناء على تكرار سمة لغوية ما إلى درجة غير عادية. وإذا شاع شيء من الانزياح الأسلوبي عند فريق من الأدباء وأصبح عرفاً أو قاعدة، فإنّه لا يعد ظاهرة أسلوبية⁽¹⁾.

ونختم قائلين إنّ الاتجاه إلى دراسة الملفوظات اللغوية وانزياحها عن المعيار أو القاعدة، خطوة منهجية مؤسّسة، تقود إلى الصواب. إنّ ما يؤسّسها هو كفاءة القارئ المعيارية، وأيضاً الإمكان في وصف خطئه فيها⁽²⁾.

(1) انظر، عياد شكري: اللغة والإبداع، ص 85 – 89.

وانظر لمزيد: المسدي، عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، ص 158-159.

(2) انظر، ابن ذريل عدنان: النقد والأسلوبية، ص 25 .

المصادر والمراجع :

- 1- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي جمال الدين (ت 711 هـ) : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت .
- 2- حسان تّمّام : المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة ، فصول م 7 ، عدد 3-4 ، 1987 م .
- 3- حسنين نبيل علي : ديوان طرفة بن العبد دراسة أسلوبيّة ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنيّة ، عمّان ، 1999 م .
- 4- الحلواني محمد خير : النقد الأدبي والنظرية اللغوية ، المعرفة ، عدد 232 ، 1981 م .
- 5- درويش أحمد : دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ، (د. ت) .
- 6- ابن ذريل عدنان : النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق - دراسة ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1980 م .
- 7- الراجحي ، عبده : التطبيق الصرفي ، دار النهضة العربيّة ، بيروت 1984 م .
- 8- سابير إدوارد : ترجمة سعيد الغانمي ، اللغة والأدب في اللغة والخطاب الأدبي ، ط 1 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت - الدار البيضاء ، 1993 م .
- 9- السد نور الدين : الأسلوبية في النقد العربي الحديث ، رسالة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، الجزائر ، 1994 م .
- 10- السليكي خالد : من النقد المعياري إلى التحليل اللساني ، عالم الفكر ، مجلد 23 ، عدد 1-2 ، 1994 م .
- 11- سليمان فتح الله أحمد : الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية في شعر البارودي ، الدار الفنيّة ، القاهرة ، 1990 م .
- 12- شبلنر برند : علم اللغة والدراسات الأدبية - دراسة لأسلوب البلاغة وعلم اللغة النمطي ، ترجمة محمود جاد الرّب ، الدار الفنية للنشر ، 1987 م .

- 13- شولز روبرت : ترجمة سعيد الغانمي ، السيمياء والتأويل ، ط 1 ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، 1994 م .
- 14- عبد اللطيف محمد حماسة : منهج في التحليل النصي - تنظير وتطبيق ، فصول ، مجلد 15 ، عدد 2 ، 1996 م .
- 15- عبد الله إبراهيم : الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث ، رسالة دكتوراه ، الجامعة الأردنية ، عمان ، 1994 م .
- 16- عبد المطلب محمد : البلاغة والأسلوبية ، ط 1 ، مكتبة لبنان ، بيروت ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، القاهرة ، 1994 م .
- 17- عدد من المؤلفين : المعجم الوسيط ، ط 2 ، (د . ت) .
- 18- عياد شكري : اللغة والإبداع - مبادئ علم الأسلوب العربي ، ط 1 ، 1988 م
- 19- عياد شكري : مدخل إلى علم الأسلوب ، 1982 م .
- 20- عياشي منذر: مقالات في الأسلوبية ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1991 م .
- 21- عيد رجاء : البحث الأسلوبي - معاصرة وتراث ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، 1993 م .
- 22- الغدامي عبد الله : الخطيئة والتكفير ، من البنيوية إلى التشرحيّة ، ط 1 ، النادي الأدبي الثقافي ، المملكة العربية السعودية ، 1985 م .
- 23- فضل صلاح : بلاغة الخطاب وعلم النص ، ط 1 ، مكتبة لبنان ، بيروت ، الشركة المصرية التالية للنشر ، القاهرة ، 1996 م .
- 24- فضل صلاح : علم الأسلوب - مبادئه وإجراءاته ، ط 2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1985 م .
- 25- قطوس بسام : استراتيجيات القراءة - التأصيل والإجراء النقدي ، دار الكندي للنشر والتوزيع ، إربد ، 1998 م .
- 26- قطوس بسام : مظاهر الانحراف في مجموعة عبد الله البردوني ، دراسات اليرموك ، مجلد 19 أ ، عدد 1 ، 1992 م .
- 27- الكبيسي طراد : الانحراف في لغة الشعر - المجاز والاستعارة ، الأقلام ، عدد 8 ، 1989 م .
- 28- محمد خير الدين : مقامات بديع الزمان الهمداني - دراسة أسلوبية ، رسالة

- ماجستير ، الجامعة الأردنية ، عمان ، 1996 م .
- 29- مرتاض عبد الملك : الكتابة من موقع العدم - مساءلات حول نظرية الكتابة - ، كتاب الرياض مؤسسة اليامة الصحفية ، الرياض ، العدد 61-61 يناير - فبراير ، 1999م .
- 30- المسدي عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب - نحو بديل ألسني في نقد الأدب ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1977 م .
- 31- مصلوح سعد : الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ، ط 1 ، دار البحوث العلمية .
- 32- ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، (د. ت) .
- 33- المهيري عبد القادر : البلاغة العامة ، عرض حوليات الجامعة التونسية ، عدد 8 ، 1971 م .
- 34- الوعر مازن : الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها في الدراسات الأسلوبية ، عالم الفكر ، مجلد 22 ، عدد 3-4 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1995 م .
- 35- ويس أحمد محمد : الانزياح بين النظريات الأسلوبية والنقد العربي القديم ، رسالة ماجستير ، جامعة حلب ، حلب ، 1995 م .
- 36- اليافي نعيم : الانزياح والدلالة ، الفيصل ، عدد 226 ، 1995 م .
- 37- ابن عقيل : شرح ابن عقيل ومنحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، مراجعة محمد أسعد النادري ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 2000 م .
- 38- المتنبي أبو الطيب : شرح ديوان المتنبي ، وضعه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1986 م .
- 39- ابن الملوّح قيس : ديوان مجنون ليلى ، شرح يوسف فرحات ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 2 ، 1994 م .
- 40- أبو تمام : ديوان أبي تمام ، تقديم وشرح محيي الدين صبحي ، ط 1 ، دار صادر ، بيروت ، 1997 م .

